

## مصوغة سوسولوجيات المدرسة وسيكولوجيات المراهق

1- يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية ، وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالإستقامة والصلاح ، المتسم بالإعتدال والتسامح ، الشغوف بطلب العلم في أرحب آفاقها والمتوقد للإطلاع والإبداع والمطبوع بروح المبادرة والإنتاج النافع.

2- يلتزم النظام التربوي للمملكة المغربية بكيانها العريق القائم على ثوابت ومقدسات يجليها الإيمان بالله وحب الوطن والتمسك بالملكية الدستورية. عليها يرين المواطنون مشبعين بالرغبة في المشاركة الإيجابية في الشأن العام والخاص وهو الواعون أتم الوعي بواجباتهم وحقوقهم متمكنون من التواصل باللغة العربية ، لغة البلاد الرسمية تعبيرا وكتابة ، متفتحون على اللغات الأكثر انتشارا في العالم ، متشبعون بروح الحوار وقبول الاختلاف وتبني الممارسة الديمقراطية ، في ظل دولة الحق والقانون.

3- يتأصل النظام في التراث الحضاري والثقافي للبلاد ، بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة وسيحقق حفظ هذا التراث وتجديده وضمان الإشعاع المتواصل لما يحمله من قيم خلقية وثقافية.

4- يندرج النظام في حيوية نهضة البلد الشاملة ، القائمة على التوفيق الإيجابي بين الوفاء للأصالة والتطلع الدائم للمعاصرة ، وجعل المجتمع المغربي يتفاعل مع مقومات هويته في انسجام وتكامل وفي تفتح علتى معطيات الحضارة النسانية العصرية وما فيها من آليات وانظمة تركز حقوق الإنسان وتدعيم كرامته.

5- يروم نظام التربية والتكوين الرقي بالبلاد إلى مستوى امتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا المتقدمة والإسهامات في تطويرها بما يزيد قدرة المغرب التنافسية ، ونموه الإقتصادي والإجتماعي والإنساني في عصر يطبعه الإنتاج.

### الغايات الكبرى:

6- ينطلق إصلاح نظام التربية والتكوين من جعل المتعلم بوه عام ، والطفل على الاخص ، في قلب والتفكير والفعل خلال العملية التربوية التكوينية ، وذلك بتوفير الشروط وفتح السبل أمام أطفال المغرب ليصلوا ملكاتهم ، ويكونون منفتحين مؤهلين قادرين على التعلم مدى الحياة. وإن بلوغ هذه الغايات ليقضي الوعي بتطلعات الأطفال وحاجاتهم البدنية والوجدانية والنفسية والمعرفية وإن بلوغ هذه الغايات ليقضي في الوقت نفسه نهج السلوك التربوي المنسجم مع الوسط العائلي إلى الحياة العملية مروراً بالمدرسة.

### مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين:

ومن ثم ، يقف المربون والمجتمع برمته تجاه المتعلمين عامة ، والأطفال خاصة ، موقفا قوامه التفهم والإرتقاء والمساعدة على التكوين التدريجي لسيورتهم الفكرية والعملية ، وتنشئتهم على الإندماج الإجتماعي ، واستيعاب القيم الدينية والوطنية والمجتمعية.

7- وتأسيسا على الغاية السابقة ينبغي لنظام التربية والتكوين أن ينهض بوظائفه كاملة تجاه الأفراد والمجتمع وذلك:

أ- بمنح الأفراد فرصة اكتساب القيم والمعارف التي تؤهلهم للإندماج في الحياة العملية ، وفرصة مواصلة التعلم ، كلما استوفوا الشروط والكفايات المطلوبة ، وفرصة إظهار النبوغ كلما اهلتهم قدراتهم واجتهادهم.

ب- بتزويد المجتمع بالكفايات من المؤهلين والعاملين الصالحين للإسهام ففي البناء المتواصل لوطنهم على جميع المستويات كما ينتظر المجتمع من النظام التربوي أن يزوده بصفوة من العلماء وأطر التدبير ، ذات المقدرة على زيادة نهضة البلاد مدارج التقدم العلمي والتقني والإقتصادي والثقافي.

8- وحتى يتسنى لنظام التربية والتكوين إنجاز هذه الوظائف على الوجه الأكمل ، ينبغي أن تتوخى كل فعالياته وأطرافه تكوين المواطن بالمواصفات المذكورة في المواد أعلاه.

9- تسعى المدرسة المغربية الوطنية الجديدة إلى أن يكون:

أ- مفعمة بالحياة بفضل نهج تربوي نشيط يتجاوز التلقين السلبي والعمل الفردي إلى اعتماد التعلم الذاتي والقدرة على الحوار والمشاركة في الإجتهد الجماعي.

ب- مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة ، والخروج إليه منها بكل ما يعود بالنفع على الوطن ، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسين فضائها النسبي والمجتمعي والثقافي والإقتصادي.

10- على نفس النهج ينبغي أن تسيير الجامعة وحري بها أن تكون مؤسسة منفتحة وقاطرة التنمية على مستوى كل جهة من جهات البلاد وعلى مستوى الوطن ككل.

أ- جامعة منفتحة ومرصد للتقدم الكوني والعلمي والتقني وقبلة للباحثين الجادين من كل مكان ، ومختبرا للإكتشاف والإبداع وورشه المهن ، تمكن كل مواطن من ولوجها أو العودة إليها ، كلما حاز الشروط المطلوبة والكفاية اللازمة.

ب- قاطرة للتنمية ، تسهم بالبحوث الأساسية والتطبيقية في جميع الحالات وتزود كل القطاعات بالأطر المؤهلة والقادرة ليس فقط على الإندماج المهني فيها ، ولكن أيضا على الرقي بمستويات إنتاجها وجودتها بوتيرة تسير إيقاع التباري مع الأمم المتقدمة.

بعض المبادئ الأساسية للملاحظ سوسولوجي:

1- الحيد الأكسيولوجي:

على عالم الاجتماع أن يلاحظ الواقع من الداخل كما لو كان غريبا عن ذلك الواقع ، بحيث يتجنب إصدار أحكام قيمة بتصنيف الأفعال التي يلاحظها إلى أفعال صائبة أخرى غير صائبة. إن هدفه الرئيسي يتجلى أساسا في التحليل والتأويل: باختصار إنه يتجلى في فهم الواقع الملاحظ دون الحكم عليه. إنه بطريقة ما يضع مؤقتا آراءه اتلخاصة جانبا. واختياراته والأشياء التي يفضلها حينما يكون بصدد قراءة الواقع الذي يلاحظه ، فأثناء التحليل لا يميل إلى وضع الأشياء التي تعجبه ويحبها شخصا .

هذه باختصار قاعدة أساسية من قواعد المنهج السوسولوجي.

2-الإعتماد على الملاحظة الميدانية:

لا يوجد هناك عمل سوسولوجي بدون مجموعة من الإجراءات الميدانية لأجل اختبار فرضيات البحث ، فعالم الاجتماع او الباحث السوسولوجي يلجأ باستمرار إلى لقاءات Entretien أو مقابلات. يلاحظ مظاهر معينة ، اجتماعات ، كما يلجأ إلى الأرشفة والإحصائيات. كل هذا يشكل بالنسبة إليه معطيات يستند إليها أثناء التحليل .

ذلك لأن هدفه هو استخراج معاني ودلالات لواقع عادي ... إنه بخلاف الباحثين الآخرين مسلح بتصور نظري أولي.

3-تنظيم النتائج:

الملاحظ السوسولوجي لا يضع وقته في سرد ما رأى وسمع ، عليه ان يقوم بتأويل المادة الامبريقية والمعطيات التي جمعها ، والهدف من التأويل هو استخراج مبادئ عامة تسمح ببناء قوانين سوسولوجية حول سير المجال الاجتماعي ، فالقانون او القاعدة السوسولوجية لا تكتب من طرف الأفراد بل هي تجريد انطلقا من الملاحظة الميدانية...

### وثيقة رقم 1: النزاعات:

لا يعيش التلاميذ تجربتهم المدرسية بوتيرة واحدة ، إذا كان التعبير عن الإنشراح يأتي على قائمة المشاعر التي يدعي التلاميذ الإحساس بها داخل المؤسسة ، فإن القلق والإحساس بالروتين والتذمر يأتيان مباشرة بعد ذلك. هذه الأحاسيس لها ارتباط وثيق طبعا بالنتائج المدرسية: من غيرهم (79%) في مقابل (54%) بينما حدث العكس حيث (27% في مقابل 18%) حسب دراسة Marthenden.1996 كما بين (Dubet et Natrucelle1996) ، ان التلاميذ يتدرون من السلوكات الغير عادلة والغير منصفة للأساتذة ، غير ان الإنتقادات الموجهة لهم محدودة ومحدودة بمدى تأثير القيم التي تلقنها المدرسة.

النزاعات بين التلاميذ خصوصا الذكور هي في المقابل ظاهرة معروفة ، فهي تبقى مقبولة ومتجاوزة ، من جانب المدرسين خصوصا الرجال أي الذكور منهم الذين يعتبرونها وسيلة "طبيعية" في بناء الهوية الذكورية .. العراك واستعمال القوة البدنية هو تأكيد لسلطة الكبار على الصغار ، وسلطة الذكور على الإناث ، اللواتي لا يحسنن بأنهن تحظين بدعم الأساتذة إذا ما لجان إليهن ليشتكين من الذكور. ولهذا السبب تشكلن مجموعات وتحاولن تجاهل التلاميذ- الذكور- (1987). (Clarrigoales) في ظل وضع اجتماعي وسياق متميز بتعدد الإنتماءات الإثنية ، قد تحدث نزاعات ذات طبيعة ثقافية او عنصرية دراسة (1982) (Hanna) بصدد مدرسة تجريبية منذ مدة بالولايات المتحدة ، أظهرت أن الأطفال السود والبيض يتعاركون ويتصارعون حيث تسعى كل جماعة لإقصاء الأخرى ، دراسة أخرى بانجلترا (1993) (Carallay) ، أبرزت ان الذكور ذوو الأصول الإفريقية ينظر إليهم كعناصر مهددة لزملائهم نظرا لخشونتهم أثناء الحصص الدراسية ولكونهم يجلبون الفتيات ويتحدون الأساتذة.

Maric. Duru-Bellat : Sociologie de l'école. Am audeclin 1999, p 204.

### وثيقة رقم 4: الطرق والأساليب التربوية:

أغلب الدراسات التي تناولت الفوارق بين الأوساط الاجتماعية ، اهتمت أساسا بمجال الأساليب التربوية ، حيث إن أغلبها انطلقت من فرضية كون الأسر في الأوساط الاجتماعية الشعبية تتميز باللجوء إلى المراقبة الصارمة والعقاب الجسدي على عكس الطبقات الوسطى التي تعتمد بالدرجة الاولى على نوع من الترهيب أي العقاب السيكولوجي-كالعزل والتهديد بعدم الإهتمام- أو تلجأ إلى الحكمة ومعالجة الأشياء.

الدراسات الميدانية الأخيرة بينت أن ارتفاع المستوى المعاشي والدراسي وانفتاح الأسر على الخارج فضلا عن تأثير علماء النفس والأطباء والصحافة المتخصصة يؤديان إلى انتشار نموذج الطبقات الوسطى. ورغم ذلك ، نجد تنوعا كبيرا في أساليب التربية الأسرية. بفرنسا تعرض الباحث (1980) (Lautery) الأثر النمو المعرفي على ثلاثة "أنماط" أسرية: النمط أو المحيط: المحيط ذو البنية المرنة والمحيط المتشدد. فبالنسبة للثاني هناك قواعد للتعامل لكنها متفاوض في شأنها مع الأطفال وقد كان لها نتائج إيجابية على الأطفال.

ومن خلال الجمع بين بعدين ، التحكم (درجة الإكراه والضغط) والدعم (درجة الحميمية الوجدانية) للآباء والأمهات ، ميز (Baumaind 1980) بين ثلاثة أساليب عند عينة من الأسر الأمريكية: الأسلوب "المتساهل" (تحكم ضعيف ودعم وحميمية مرتفعة)، والأسلوب "السلطوي" (تحكم شديد ودعم وحميمية منخفضين)، والأسلوب "الصارم" (التحكم والحميمية مرتفعين).

لكن دراسة مقارنة بين نماذج عائلية من السود بالولايات المتحدة ، علائلات يتميز أبناؤها المراهقون بنتائج مدرسية إيجابية وأخرى يصادف أبناؤها تعثرت ، قد بينت أن الأسلوب "الصارم Autoritaire" المتميز بالتشجيع الأسري ووجود قواعد واضحة للتعامل الأبناء داخل وخارج المنازل ، والمراقبة الصارمة المضبوطة لأوقات الخروج بالإضافة إلى الأهمية التي تعطى للحوار بين الأبناء والأولاد ، هو الأسلوب المميز لأسر التلاميذ المتفوقين (1983) (Clark). في المقابل الأسلوبين الآخرين أعطيا نتائج سلبية حيث يشجعا أكثر على الإهتمام بالتعلم ، وسلوكات مشينة ...إلخ.

Marie. Duru-Bellah, Sosiologie de l'école. Armand colin, 1996, Paris, P 174.

### وثيقة رقم 3: تابع التعثر الدراسي:

ينطلق المبدأ الديمقراطي للتعليم من مسألة تكافؤ الحظوظ وكون المدرسة لا تقوم سوى بوظيفة تربوية ، لكن علماء الاجتماع تناولوا العلاقة بين نسب التفوق أو النجاح الدراسي والأصول الاجتماعية للتلاميذ ، واستنتجوا أن المدرسة دون رغبة منها ودون وعي منها ، تقوم بعملية انتقاء اجتماعي للتلاميذ ، ليس حسب الوضع المادي ولكن وفق الموارد الفكرية والثقافية للأسرة: الشهادة التعليمية للآباء والأمهات ، مهنتهم ، وممارستهم الثقافية .

وقد لاحظوا إذن ، أن التلاميذ الذين ينحدرون من الفئات العليا في السلم يتوفرون على حظوظ أكثر للتفوق الدراسي بالمقارنة مع الآخرين. وهكذا ، فاثنين على ثلاثة من أبناء الأطر العليا يلجون الجامعة في مقابل 1 بالنسبة للفئات العمالية.

10

### وثيقة رقم 3: المدرسة واللاتكافؤ الاجتماعي

- 1-إن الحظوظ الدراسية غير متكافئة اجتماعيا ، فرغم تحقيق ديمقراطية التعليم وفتح المدارس ... فإن الفرص الدراسية غير متكافئة اجتماعيا بين أبناء الجماعات أو الفئات الاجتماعية والإقتصادية المختلفة تبعا لموقع كل منها في السلم الاجتماعي.
- 2-اللاتكافؤ أمام التعليم يعود إلى العنصر الثقافي من المنشأ أكثر مما يعود إلى العنصر الإقتصادي ، وهذا ما يفسر الإختلاف بين أبناء الفئات التي لها نفس الوضع الإقتصادي... إن لا تكافؤ الفرص يرتبط بالرأسمال الثقافي...
- 3-إن المدرسة وعبر إواليات لا تكافؤ الفرص الدراسية غنما تقوم بإعادة إنتاج اللاتكافؤ الاجتماعي ، إذ في الدولة النامية يصعب اعتبار المدرسة المؤسسة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية ليس لأن نسبة من الأطفال لا يلتحقون بها بل لأن البنى التقليدية ما زالت نافذة.
- 4-تتركب اللاتجانس الاجتماعي بالإنحراف الإقتصادي الناجم عن التبعية ، واللاتجانس الاجتماعي وجه بخر إنه التنافر العجتماعي وهو ناجم عن كون الرأس مالية لم تدخل عن طريق النخب الحديثة بل غالبا عن طريق التشكيلات الإقتصادية العجتماعية...
- 5-ارتباط الفرص الدراسية بالتفاوت القطاعي. فالقطاع الحديث ينمو باستقلالية نسبية عن سائر المساحة الاجتماعية وأنه في حالة توسع وسيطرة مستمرة...

### الوثيقة رقم 1: المعالجة السوسولوجية للمدرسة:

تشكل الترابية بالنسبة لهنري جان "...في عين السوسولوجي سيرورة للمثاقفة. Occulturation ومن ثم تشتغل كل الآليات الوظيفية الخاصة باستدخال القيم واستيعاب السلوكات وكل المقتضيات التي تحاول بواسطتها البنيات إدماج الأفراد ، وكل التنظيمات التي تعمل بواسطتها أنظمة السلطة ، صراحة أو ضمنا ، حث الأفراد على احترام التراتبيات..."

للمؤسسة المدرسية ، في الواقع ، وظيفة مضاعفة: إشاعة موروث الماضي والتهيئ لتحويلات المستقبل ، ومن ثم فالأمر لا يتعلق بصدفه عندما لا نعثر على أي نظام للبحث العلمي لم يعر قدرا من اهتمامه للمشاكل الأساسية الحالية للتعليم أو للتكوين المهني.

يتحدد موقع لسوسولوجيا التربية على مستويين:

-تحلل مكانة ووظيفة المؤسسة المدرسية داخل المجتمع وبذلك العلاقة بين هذا المجتمع والمجتمع العام ، انطلاقا من المشكلات الملموسة للمؤسسة المدرسية (الفشل الدراسي مثلا ، والتفوق المدرسي والأوساط الأسرية وممارسات المدرسين).

ويمكن من جهة أخرى ، التدقيق أكثر في حقل سوسولوجيا التربية والواقع ان موضوع البحث الأول الذي تبنته السوسولوجيا التربية هو المؤسسة ، أي المدرسة وكل ما يدخل ضمن محيطها ، وغالبا ما يتوسع تحديد مفهوم المؤسسة إلى دراسة التنظيم أو النسق في كليته والذي يندرج ضمن قطاع التعليم ، وهكذا نجد اشتغال المؤسسة المدرسية في إطار محيطها القريب ، جمعيات الآباء ، والجماعات الضاغطة ، وبشكل عام ، الرأي العام ، وتحاول سوسولوجيا المؤسسات التربوية ، الأكثر كلاسيكية ، أن تقيم العلاقة بين نسق تربوي خاص والمجتمع العام الذي ينتهي إليه ، ومعاييره وترتيباته وتاريخه وأيضا إديولوجيته ، كما تحاول من ناحية أخرى تسليط الضوء على تأثير هذا النسق على سيرورة تكوين الجماعات والطبقات وعلى نشر المعرفة.

### الوثيقة رقم 2: المدرسة وإعادة الإنتاج

وجد علماء الاجتماع أنفسهم ، خلال سنوات 70 ، في مواجهة تحدي حقيقي ، إذا كان الفارق بين النتائج المدرسية فارقا اجتماعيا ، وفاقدا الصلة بما يدعى بالمواهب الغامضة ، وغير القابلة للتفكير ، فقد بات من الضروري العمل على تفسير ذلك الفارق وعلى تحديد الآليات العجتماعية الثاوية التي تنتج هذا الإرتباط الشائع بين النتائج المدرسية والمنشأ الاجتماعي. ولكي يتمكنوا من الجواب على هذه المسألة ، عمل علماء العجتماع على تطوير نظرية إعادة الإنتاج Reproduction ، التي اتخذت صيغا متنوعة واعتمدت بشكل مكثف ، على الاداة الإحصائية.

بالنسبة لكل من ب. بورديو وج. كلود باسرون Passeron ، تعمل المدرسة على الإعلاء من شأن شكل معين من الثقافة المدرسية ، شكل يتميز بالأناقة والمظهر الطبيعي .. إلا أن مختلف الطبقات الاجتماعية ، لا توجد على مسافة موحدة إزاء هذه الثقافة ، فالطبقات القريبة منها ، تمرر لأبنائها رأسمالا ثقافيا وعددا من الإستعدادات متعلقة بالمدرسة وبالثقافة ، تتيح لهم إمكانية النجاح المدرسي ، وعلى العكس من ذلك ، يلجأ أبناء الطبقات الفقيرة إلى ما يسمى بالإقصاء الذاتي من السباق ، نظرا لافتقارهم لرأس المال الثقافي وللإستعدادات الضرورية ، وبذلك تساهم المدرسة في إدامة بنية العلاقات الاجتماعية ، أكثر من ذلك إنها تضفي عليها المشروعية من خلال إخفاء وظيفتها الاجتماعية وراء وظيفتها الثقافية ، غير أن

المدرسة تحتفظ ، مع ذلك ، باستقلالية نسبية ، تسمح لها بإقناع الغير بانها ترتب الأطفال حسب معايير ثقافية وليس وفق معايير اجتماعية ، وبأن هذا التراب هو امر مشروع.

هناك تيار ثان في نظرية إعادة الإنتاج ، ويجد جذوره في فكرة التمرير الايديولوجي ، والمفهوم الأساسي هنا ، هو مفهوم الجهاز الايديولوجي للدولة الذي طوره ل. التوسر .Althusser أن كل مجتمع يجب ان ينتج لدى الشباب

الكفايات وقواعد السلوك التي تسمح لهم بشغل مكان مستقبلي ضمن التقسيم الاجتماعي للعمل ... إن المدرسة ، بالنسبة لألتوسير هي الجهاز الايديولوجي الأساسي للدولة الرأسمالية الحديثة.

وستؤثر أفكار ألتوسير على فرقين من علماء الاجتماع المطورين أيضا لنظرية إعادة الإنتاج ، ففي فرنسا طور كل من س. بودلو Beaudelot و.ر. إستابليت Establet ، نظرية "الشبكتين" في التمدرس ، فهناك ادعاء بأن المدرسة موحدة ، ولكنها ، في الواقع ، تعمل على التقسيم ، وعلى توزيع الشباب بين شبكتين متعارضتين تعكس الفصل الرأسمالي بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، بين المستغلين والمستغلين: شبكة ابتدائية مهنية وشبكة ثانوية عالية.

أما في الولايات المتحدة ، فقد مارست أفكار ألتوسير أيضا تأثيرات على نظرية "التطابق" التي طورها كل من S.Bowles و.بول ، و H.Gintis جينتيس.

إن وظيفة المدرسة في مجتمع رأسمالي ، كما ينظران إليهما ، أدنى من أن تنتج معارف وقدرات معرفية وسلوكات تقنية ، بل إنها تنتج مواقف وسلوكات وقيما... أي قوة عمل قادرة على الخضوع للمقتضيات الهرمية لنظام الإنتاج.

### **الوثيقة رقم 3: المدرسة والتنشئة والإدماج الاجتماعي**

التربية عامل للإدماج الاجتماعي ، إن الأمر لا يتعلق هنا سوى بوظيفة طبيعية للتربية ، ألا وهي وظيفة إعادة الإنتاج ، إنها الخاصية المحافظة للتربية ، غير أن التربية ، تشكل ، من حيث طبيعتها نفسها ، عاملا من عوامل التطور...

تميل كل دولة إلى استعمال التعليم كعامل أساسي للمشروع السياسي العام . ففي اغلب الأمم الأوروبية ، أصبح التمدرس الإجباري إلى سن 16 أو 18 مدعوا إلى جعل معظم الساكنة داخل الطاحونة الاجتماعية الموضوعة من طرف الطبقة السائدة.

فالتربية عامل من عوامل الإدماج الاجتماعي من حيث منهجيتها: لأن العلاقة مجرس-متعلم هي النموذج الأمثل لعلاقات السلطة. والتربية عامل من عوامل الإدماج الاجتماعي من حيث مضمونها ، لأنها تشيع أساليب تفكير محافظة ، أي قبول الخ=هرميات الاجتماعية القائمة...

والتربية عامل غدماج اجتماعي من حيث نتائجها ، باستثناء نخبة قليلةن إنها تعمل إلى تحديد إمكانات الاختيار ، وهو الأمر الذي يدعى بالتوجيه ، والتربية عامل إدماج اجتماعي من خلال الأشخاص الذين يشرفون عليها ويقومون بها ، فالإستقلالية التي يحظون بها في مهنتهم تخفي عنهم التبعية التي تربطهم بالنظام الاجتماعي.

وإذا كانت التربية ، في العصر الحالي ، محركا للإقتصاد ، فهل من المقبول أن تبقى فقط كقوة إنتاجية وان يصبح التكوين مجرد غنتاج للسلع (الإنسان العامل)؟ مثل ذلك قابل للفهم في ظل مجتمع استهلاكي مؤسس على النخبة. فهذه التبعية لا يمكن قبولها كما لو كانت قدرا ، إذ من الضروري الحفاظ على نوع من المسافة بين المشهد الإقتصادي والاجتماعي وبين النظام التربوي .

غير أن ذلك لا يتأتى دون الوقوع في تناقض فالتربية تتحمل دورا اقتصاديا واجتماعيا ، ومن هنا فهي تعاني من التبعية ، وبحكم انفتاحها على العالم الخارجي ينبغي لها أن تنتقده وتتحمل انتقاداته في نفس الوقت ... ولذلك ، فإنها مدعوة إلى عدم تجاهل التوترات الداخلية التي تعمل داخلها وأن تقسح لها المجال لتتحول إلى عنصر من عناصر التطور والتقدم.

### **الوثيقة رقم 4: المدرسة والتغيير**

لأن المدرسة تعد من البنيات الأساسية للمجتمع ، فينبغي إذن ، النظر إلى كل تطور في عمل المدرسة .. على أنه يمثل أيضا مساهمة هامة في تحول المجتمع ذاته ، فهي تسمح ، في الواقع ، بتحرير الفرد من النسق الذي يوجد فيه ... وبتنمية ميولاته وقدراته ومواهبه ، في انسجام مع استعداداته الخاصة.

أما إذا تناولنا التغيير الذي تحدثه المدرسة على مستوى المجتمع ، أو على بنياتها الخاصة ، فمن المفيد الإشارة إلى المعوقات التي تعترض مهمة المدرسة تلك ، وفي مقدمتها معوقات نابعة من المعايير والقواعد الاجتماعية القائمة ، والمعوقات المرتبطة بثقل تأثير الآراء والمواقف ، والأفكار النمطية ، وأخيرا وبصورة أعمق المعوقات التي تنتجها بنيات السلطة ، أساليب ممارستها.

ينطوي معيق المعايير والقواعد على محتويات سوسيولوجية وسيكولوجية متصلة بفكرة النموذج الذي يشكل بدوره ممثلا للقيم والأنماط السلوك والتفكير والمعتقدات (... ) وبدون أن تجعل المدرسة هذه النماذج المفروضة عليها ، موضع السؤال ، ينتهي الأمر بإقامة إشراف دائم للسلوكات وللتصرفات من خلال القوانين والممنوعات والتعليمات ، والطقوس ، والأعراف.

وتلعب الآراء والمواقف والأفكار النمطية دوراً مؤثراً على سلوك المتعلمين ، فالري المتلقى دون تمحيص ، يقود الطفل إلى التضييق بردات فعل أوتوماتيكية وإلى انخراط غير مبرر في الإعتقادات والقيم والمذاهب الثقافية والسياسية التي تترتب عنها مضاعفات على المدرسة ... وإذا لم تأخذ المدرسة حذرهما إزاء ذلك ، فإن الأضرار ستلحق بالاستقلالية الشخصية...

...تمت هذه المعوقات والصعوبات الملازمة للنظام الاجتماعي القائم ... هل بإمكان المدرسة ان تغير ذاتها لتساهم في الوقت وبواسطة ذلك ، في تغيير المجتمع ؟ يمكن الجواب: اجل. ومن ثم تفتح أمام المدرسة آفاقاً وسبل متنوعة.

...ويمكن تركيز المشكل الخاص بالعلاقة بين المدرسة والمجتمع من جهة ، حول مضاعفات البنيات الاقتصادية والاجتماعية على الوسط المدرسي والجامعي ، ومن جهة ثانية حول البحث عن الوسائل الكفيلة بمواجهة معوقات السياق وحول البحث المستقبلي الذي يحدد بواقعية سل التحول الضروري.

### **الوثيقة رقم 5: المدرسة والحراك الاجتماعي:**

يشير محمد شرقاوي ، إلى أن الحراك الاجتماعي فكرة قديمة ، إذ كانت موضوع تفكير الرواد الأوائل لعلم الاجتماع مثل دوركهايم ، وماركس ، وسومبرات ، وماكس فيبر ، وسوروكين ، لكنها بعد الحرب العالمية الثانية ، أصبحت مجال أبحاث أمبريقية نسقية ، وهو يرى أنه لا يمكن فصلها عن المناخ الإيديولوجي الذي ساد أوروبا ، والمقصود بذلك الصراع ، الذي دار بين التيارين الإيديولوجيين: الرأسمالية والإشتراكية ، وهي قضية تدور حول أسئلة أساسية منها: هل يوجد حراك اجتماعي حقيقي في المجتمعات الصناعية ؟ وهل يساهم النظام التعليمي على تدويب الفوارق الطبقية ؟ وبصيغة أخرى ، هل يساعد التعليم على القضاء على إعادة لا مساواة الحظوظ سواء إزاء التمدن ، أو على مستوى الإرث الاجتماعي ؟ أم ان التعليم في البلدان الرأسمالية يعمق الفوارق الاجتماعية والثقافية ويعمل على إعادة إنتاجها ؟ وبالتالي ، هل تستفيد الطبقات العليا الهيمنة من التعليم في تطريس امتيازاتها وتفوقها ، مقابل ضمان بعض المتطلبات الدنيا للطبقات المسحوقة ؟ وإذا كان يوجد العكس ، فأى حراك اجتماعي تحققه الفئات الضعيفة ، وفئات أخرى ، وما هي طبيعته ؟ وما مداه ؟

تنطبق الدراسات السوسيولوجية المهمة بالحراك الاجتماعي ، سواء بأمريكا او بفرنسا ، من التسليم بوجود حراك اجتماعي في المجتمعات الصناعية المتقدمة عند مقارنتها بالمجتمعات التقليدية ، ففي هذه المجتمعات الأخيرة يتحقق التماثل بين البنيات العائلية والبنيات الاقتصادية ، فالعائلة تعتبر وحدة تربوية وغنتاجية أساسية. هنا يرث الأبناء مهن آبائهم ، ومن ثم فإن هذا المجتمع يجهل الحراك الاجتماعي ، بينما يلاحظ في المجتمعات الصناعية تفكك الأسرة كوحدة إنتاجية وتربوية نظرات لسيادة التصنيع. وما رافق هذا المسلسل من تغيرات ، ومنها سيادة المدرسة ، بشكل أدى إلى ان يصح الفرد مكتسبا لمهنته نظرا لكفاءاته.

إن استعراض بعض نتائج هذه الأبحاث ، لا يتأتى إلا بعد الإحاطة بتصور مفهوم الحراك الاجتماعي ، وما يترتب عنه "فهو يتعلق باحتمالات الإلتحاق بمختلف المستويات المهنية حسب الصول الاجتماعية للأفراد" ، وهذا يعني ، ان دراسة الحراك الاجتماعي ، بقدر ما تقتض بحث الترتيبات الاجتماعية ، فإنها تقتض أيضا دراسة بنية المهن ، والتغيرات التي تلحق سوق الشغل ، الشيء الذي يؤدي إبتسيولوجيا إلى تكامل وتطافر علمي الإقتصاد والاجتماع لدراسة هذه الظاهرة. وغذا كان الحراك يربط أساسا بانتقال الأفراد عبر المواقع المهنية ، فهذا فقد يقود إلى عديم الفصل بين الحراك الاجتماعي وبين مسألة مساواة او لا مساواة الحظوظ. فالسوسيولوجيا الأمبريقية التي تهتم بمسألة لا مساواة الحظوظ والحراك الاجتماعي ، تركز على فعالية الدراسات الميكروسوسيولوجية ، أي تناول قرارات الأفراد وأفعالهم في إطار محيطهم الاجتماعي. اما الدراسات السوسيولوجية التي تنفي الحراك الاجتماعي ، فهي تؤمن بأنه مجرد خدعة او أسطورة ، تفرزها الإيديولوجيا المهيمنة في المجتمع الرأسمالي. فالقول بالحراك الاجتماعي ، يفضي إلى التعقيم على التفاوتات الطبقية. فيورديو وبارشون مثلا ، يؤكدان على أن التعليم يساهم ليس في الحراك فحسب ، ولكن في تركيس التفاوتات وإعادة غنتاجها. فإذا كان يسمح لبعض الفئات بالحراك عن طريق انتقائهم من طبقته الدنيا مثلا ، فإن هذا الحراك غير مسموح به بالنسبة لمجموع الطبقة. وبالفعل ، فإن الاعتراف بالحراك الاجتماعي لدى هذان الباحثان معناه غياب علاقات القوى الطبقية ، وبالتالي غياب مساهمة النظام التعليمي في إعادة إنتاج هذه العلاقات.

المدرسة كعامل للإندماج الاجتماعي

تميل كل دولة إلى توظيف التعليم كمكون أساسي من مكونات مشروعها السياسي العام...

إن التربية ، في عملها ، تعد عاملا من عوامل الإندماج الاجتماعي: فالعلاقة التقليدية بين المدرس والمتعلم ، تشكل النموذج الأبرز لعلاقات السلطة. والتربية ، في مضمونها ، تمثل أيضا عاملا من عوامل الإندماج الاجتماعي.

**من إعداد قسم استراتيجيات التكوين**